

تفسير ابن كثير

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ^ج وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ

وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين ، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ، ويشكون تارة أخرى ، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم (كصيب) والصيب : المطر ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وناس من الصحابة ، وأبو العالية ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والحسن البصري ، وقتادة ، وعطية العوفي ، وعطاء الخراساني ، والسدي ، والربيع بن أنس . وقال الضحاك : هو السحاب . والأشهر هو المطر نزل من السماء في حال ظلمات ، وهي الشكوك والكفر والنفاق . (ورعد) وهو ما يزعج القلوب من الخوف ، فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفرع ، كما قال تعالى : (يحسبون كل صيحة عليهم [هم العدو]) [المنافقون : 4] وقال : (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمعون) [التوبة : 56 ، 57] . والبرق : هو ما يلعب في قلوب هؤلاء الضرب من

المنافقين في بعض الأحيان ، من نور الإيمان ؛ ولهذا قال : (يجعلون أصابعهم في آذانهم
من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين) أي : ولا يجدي عنهم حذرهم شيئاً ؛
لأن الله محيط [بهم] بقدرته ، وهم تحت مشيئته وإرادته ، كما قال : (هل أتاك
حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط) [
البروج : 17 - 20] . [والصواعق : جمع صاعقة ، وهي نار تنزل من السماء وقت الرعد
الشديد ، وحكى الخليل بن أحمد عن بعضهم صاعقة ، وحكى بعضهم صاعقة وصعقة
وصاقعة ، ونقل عن الحسن البصري أنه : قرأ : " من الصواعق حذر الموت " بتقديم القاف
وأنشدوا لأبي النجم : يحكوك بالمشقولة القواطع شفق البرق عن الصواعق عال النحاس : وهي
لغة بني تميم وبعض بني ربيعة ، حكى ذلك القرطبي في تفسيره] .